

الاعتداء الجسدي ضد الأطفال في الجزائر
-دراسة ميدانية-

Physical abuse against children in Algeria

-A field study-

فتحي المكي

جامعة جيلالي بونعامه خميس مليانة

f.elmekki@univ-dbk.m.dz

آسية بن عيدة*

جامعة جيلالي بونعامه خميس مليانة

karis23@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2023/11/29

تاريخ الاستلام: 2023/9/15

ملخص:

جاءت دراستنا هذه لتسلط الضوء على ظاهرة الاعتداء الجسدي ضد الأطفال في الجزائر، حاولنا من خلالها الوقوف على الأسباب والعوامل الاجتماعية الكامنة التي تجعل الطفل يقع ضحية هذا الاعتداء، كما أننا من خلال هذه الدراسة حاولنا الكشف عن أن المحيط السوسيوثقافي الذي يعيشه الطفل له دور في وقوعه لهذا النوع من الاعتداءات، بالإضافة إلى ثقافة عدم التبليغ التي زادت من تنامي انتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية:

الاعتداء الجسدي، الأطفال، المحيط السوسيوثقافي، ثقافة عدم التبليغ.

Abstract:

Our study came to shed light on the phenomenon of physical abuse against children in Algeria, through which we tried to identify the causes and the underlying social factors that make the child fall victim to this abuse, and through this study we tried to reveal that the socio-cultural environment in which the child lives has a role in the occurrence of this type of attacks, in addition to the culture of non-reporting, which increased the growing spread of this phenomenon within the Algerian society.

Keywords:

physical abuse; children; sociocultural environment; culture of non-reporting.

1- الإشكالية:

منذ فجر التاريخ عرفت المجتمعات الأولى العنف في أشكال وصور تتناسب وطبيعتها البدائية، فكان محور الصراع فيها يدور حول منبع المياه وأماكن الرعي والصيد، وقد يصل العنف فيها حد القتل من أجل البقاء، ولاشك أن التغير الاجتماعي والاقتصادي والتطور التكنولوجي الذي طرأ على البشرية ألقى بظلاله على مناحي الحياة المختلفة، فاتسعت ظاهرة العنف وتباينت أشكالها وأسبابها، وتنوعت الفئات الاجتماعية التي طالتها فباتت الشغل الشاغل لجميع المجتمعات على اعتبار أن العنف لا ينحصر في مجتمع دون آخر.

ولعل من بين أهم أشكال العنف اللصيقة بالمجتمعات ولاسيما المجتمع الجزائري هو العنف ضد الأطفال في شكله الجسدي، فآلاف الأطفال في الجزائر مازالوا يواجهون العنف فقد كشفت إحصائيات حديثة عن تعرض 361 ألف طفل لمختلف حوادث العنف من بينهم 1131 حالة اعتداء جنسي، فيما تم إحصاء 887 حالة هروب من المنزل، لأسباب متعددة أبرزها النتائج الدراسية السلبية والمشاكل الأسرية. (ياسين بودهان، <https://www.majalla.com/node/91521>، 2023/10/10، 22:44)

فالعنف في الحقيقة ليس مشكلة شخصية أو عائلية بل هي مشكلة قومية أصبحت واقعا معاشا وموضوعا أساسيا في عناوين الصحف ونشرات الأخبار ومواقع التواصل الاجتماعي، فالطفل في الجزائر يعد الأداة التي يخاطب بها الجاني في المجتمع والوسيلة المقدر امتلاكها والعبث بها والممارسة والمتاجرة بها على اعتبار أنها الحلقة الأضعف والبراءة التي لم تختبر الحياة الاجتماعية بعد.

ويطالعنا راهن البحث السوسولوجي عن وجود عدة متغيرات لعبت ومازالت تلعب دورا لا يستهان به في رفع وتيرة الاعتداءات الجسدية في المجتمع الجزائري، فيمكن أن ينتهي الطفل ضحية عنف جسدي نتيجة إهمال أفراد أسرته فمأساة الطفل تبدأ من حيث أنه لا يمكنه حماية نفسه بنفسه ولهذا يعهد للأسرة تنشئته وتربيته ولكنها في مرات عديدة تحيد عن هذه المهمة ليصبح الطفل فريسة سهلة للعنف والعدوان، و المتمعن لحقل الأبحاث والدراسات يجعل الأسرة أحد أهم عوامل تفشي الظاهرة باعتبارها أول مؤسسة يتلقى فيها الطفل القيم والمعايير والمبادئ وتوكل لها عملية صقل شخصيته وتكوينها، فهي تعتبر ذات أثر كبير في النمو الاجتماعي والانفعالي والعقلي والجسمي، وصبغ سلوكه بصبغة اجتماعية، ولكن في ظل استخدام الأسرة لأساليب تعتبر خاطئة من الناحية التنشئية كالإهمال والقسوة وغياب الرقابة.... الخ، ما يجعلها تحيد عن دور المناط بها بل تصبح مكان غير آمن للطفل ولا توفر له أدنى شروط العيش.

بالإضافة إلى انتشار ثقافة عدم التبليغ في المجتمع الجزائري، فكثير من القضايا يلفها الصمت ولا يصل صداها إلى الجهات المختصة وهذا ما يحجب عنها حقيقة الظاهرة فالإحصائيات المعلنة لا تمثل إلا جانب من الظاهر، ناهيك عن ما أصاب المجتمع من تغيرات طرأت على البنية القيمة فتغيرت بعض القيم الاجتماعية وحلت محلها قيم بديلة أفقدت المجتمع تضامنه ووحدته الاجتماعية. ومن هذا المنطلق تعد ظاهرة العنف ضد الأطفال مسؤولية مشتركة بين مؤسسات المجتمع ووكالاته، فدور الأسرة وباقي مؤسسات لا يكفي للقيام بهذه المهمة المجتمعية، فمن ضروري توفير ضمانات قانونية أكثر ردية لحماية الأطفال من مغبة الوقوع ضحية العنف . وعلى هذا يعد العنف الممارس ضد الأطفال بنوعه الجسدي موضوعا يستدعي الدراسة العلمية المتأنية لإيجاد حلول وعلاجات لأثاره سلبية وخطيرة على الفرد والمجتمع، كما وأنه يعتبر من عوامل هدم البناء الاجتماعي ومن هنا نطرح الفرضيات التالية:

- المحيط السوسيوثقافي الذي يعيش فيه الطفل سبب في تعنيفه جسديا.
- لثقافة عدم التبليغ علاقة بوقوع الطفل ضحية اعتداء جسدي.

2- تحديد المفاهيم:

1-2- الاعتداء الجسدي:

يشير الاعتداء أو سوء المعاملة الجسدية عامة إلى الأذى الجسدي الذي يلحق بالطفل على يد أحد والديه أو ذويه أو أي فرد آخر، وهو لا ينجم بالضرورة عن رغبة متعمدة في إلحاق الأذى بالطفل. (مجيد شاكروسون ، 2008 ، ص87)

وعلى هذا يمكن القول أن الاعتداء الجسدي هو إصابة فرد آخر بالضرر والإيذاء الجسدي لإحداث الألم والأذى والمعاناة.

المفهوم الإجرائي:

نقصد به في دراستنا الأضرار التي يتعرض لها الطفل مثل: الجروح، الرضوض، الكسور، الحروق، الخدوش والعض أو أية إصابة بدنية أخرى نتيجة العنف الممارس عليهم طرف فرد، سواء تربطه به علاقة قرابة أولا.

2-2- الطفل:

الطفل هو الصغير في كل شيء أو هو كائن حي خبراته محدودة ومرتبطة بعمره الزمني يعتمد على غيره في أشياء كثيرة حتى ينمو عضويا ووظيفيا واجتماعيا، والطفل كما ذكر في معجم الوسيط هو الولد حتى البلوغ ويستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع. (عنابي عبد الحميد حنان ، 2015 ، ص 102) كما عرفت اتفاقية حقوق الطفل: " بأنه كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر، كما أطلق مصطلح الطفولة التي تمثل مرحلة من عمر الإنسان على الفترة التي تبدأ بميلاده وتنتهي لنضجه وبلوغه". (فتحي المكي، بن زينة كريمة، 2022، ص 148)

التعريف الإجرائي:

هو ذلك الكائن الحي التي تكتمل ملكاته الذهنية والعقلية، لا يستطيع التفريق بين الصواب والخطأ بشكل كامل.

2-3- التعريف الإجرائي لثقافة عدم التبليغ:

هي رفض وامتناع الوالدين عن التبليغ وإخبار السلطات المختصة بما وقع على أطفالهم من عنف أو اعتداء جسدي وهذا راجع لغياب الوعي من جهة، والخوف من نظرة العار التي...الأسرة وتؤثر على مكانتها وعلاقتها الاجتماعية مع الآخرين.

2-4- المحيط السوسيوثقافي (البيئة السوسيوثقافية):

تشير البيئة الاجتماعية الثقافية إلى الاتجاهات والتطورات في التغيرات في المواقف والسلوك والقيم في المجتمع، يرتبط ارتباطا وثيقا بالسكان ونمط الحياة والثقافة والأذواق والعادات والتقاليد، يتم إنشاء هذه العوامل من قبل المجتمع وغالبا ما يتم تناقلها من جيل إلى آخر. (Ahmed (nessrdine,https://penpoin.com/sociocultural-environment, 14/04/2022 , 15:07

التعريف الإجرائي:

هو مختلف الأطراف والعناصر التي يتعامل معها الطفل في حياته الاجتماعية والثقافية، ويتكون من الأفراد المحيطين به والجماعات و مؤسسات المجتمع كالأسرة التربوية كالمدارس وكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يتأثر بها الفرد ويؤثر فيها.

3- المقاربة السوسولوجية (النظرية المتبناة في الموضوع):

تعد نظرية الضبط الاجتماعي من المقاربات النظرية التي اهتمت بتفسير كل من السلوك العنيف والانحراف.

كما انطلقت هذه النظرية في تفسيرها للعنف بكونه استجابة لطبيعة البناء الاجتماعي، كما أن هذه النظرية تفسر العنف وترجعه إلى إخفاق المجتمع في التحكم في أفراده من خلال القيود التي وضعها والمتمثلة في المعايير الاجتماعية حيث تعتبر أن خط الدفاع بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي تشجع على العنف، فأعضاء المجتمع الذين يتم ضبط سلوكهم عن طريق الأسرة وغيرها من الجماعات الأولية يتم ضبط سلوكهم عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية، وعندما تشمل الضوابط الرسمية يظهر سلوك العنف بين أعضاء المجتمع. (جمال معتوق، 2008، ص122)

ولقد تم الاستعانة بهذه النظرية في موضوعنا المدروس العنف الجسدي ضد الأطفال وذلك من خلال، أن معظم الاعتداءات الجسدية الممارسة ضد الأطفال لا يتم التبليغ عنها، وبالتالي فالجاني لا يتلقى الضبط والردع والعقاب اتجاه جريمته، ومن هنا تبقى هذه الجريمة طي الكتمان والسرية، فالطفل خوفا من الجاني لا يبلغ عنه وبالتالي تبقى هذه الظاهرة تتكرر، وهذا ما يساعد في انتشارها وارتفاع معدلاتها في مجتمعنا الجزائري.

4- الأسس المنهجية للدراسة:

4-1- المناهج المعتمدة:

4-1-1- المنهج الوصفي:

ويعرف المنهج الوصفي بأنه " مجموع الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على والبيانات، وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة. (الرشيدي صالح بشي، 2000، ص15)

وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن المنهج الوصفي يعتمد على وصف الظاهرة وصفا علميا موضوعيا. إضافة إلى التحليل والتصنيف، والمعالجة، والتحليل بغية الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها فيما بعد على الظاهرة الاجتماعية

4-1-2- منهج دراسة حالة:

من المناهج المتميزة، ويقوم أساسا على الاهتمام بدراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها أي أن منهج دراسة حالة نوع من البحث المتعمق في فردية وحدة اجتماعية سواء كانت هذه الوحدة فردا أو أسرة أو قبيلة أو قرية أو نظاما أو مؤسسة اجتماعية أو غيرها. (صابر عوض فاطمة وخفاجة علي ميرفت، 2000، ص42)

يعتبر هذا المنهج الأنسب لهذه الدراسة وذلك قصد التعمق والتفصيل في فهم الدوافع والأسباب الحقيقية لكل حالة والتي جعلت الطفل ضحية للعنف الجسدي في المجتمع الجزائري، كما أنه يتناسب وعينة البحث كرة الثلج التي تمكنا من النفاذ إلى أعماق ظاهرة ودلالاتها الحقيقية.

4-2-2-4 أدوات جمع البيانات:

4-2-4-1-الملاحظة:

وهي تعتبر من أقدم الأساليب التي استعملها الإنسان لجمع المعطيات عن ظاهرة معينة وتعرف على أنها "وسيلة من وسائل جمع المعطيات عن الواقع الاجتماعي، فهي عملية استخدام البصر والحس والبصيرة وإدراك حقيقة ما أو وصفها.(عناية غازي ، 1985 ص 67)

كما يمكن تعريفها على أنها "إدراك الظواهر والمواقف والوقائع والعلاقات عن طريق الحواس مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة.(سيد أحمد محمد غريب ، 1989 ، ص191)

ووظفت في هذه الدراسة من أجل جمع بيانات صادرة من الأطفال ضحايا الاعتداء الجسدي، بحيث استطعت معايشة الظاهرة عند احتكاكنا بالحالات حيث تنوعت مظاهر الملاحظة ما بين بكاء وحزن وآسى وألم وتردد لسرد ما وقع لها وبين لا مبالاة واستهزاء وعدم اكتراث بمجريات الأحداث.

4-2-2-4-المقابلة:

تعتبر المقابلة أداة معمقة يتم استخدامها في العديد من الدراسات الاجتماعية، نظرا لفعاليتها في جمع البيانات والمعطيات بطريقة دقيقة ومفصلة.

ويمكن تعريفها أيضا أنها "التقاء مباشر بين فردين وجه لوجه وتتم في الدراسات الميدانية بطرح أسئلة يلقيها الباحث لمعرفة رأي المبحوث في موضوع محدد باستعمال تبادل لفظي".(قباري إسماعيل محمد ،1982، ص156)

فالمقابلة في الحقيقة عملية اجتماعية الهدف منها جمع البيانات والمعطيات عن الظاهرة المدروسة بصفة محددة ومفصلة وقد تم استخدامها في دراستنا مع الأطفال ضحايا الاعتداء الجسدي أو أحد الوالدين عند عجز الطفل عن الحديث بسبب التأثير بالحادث أو لصغر سنه وعدم إدراكه لما حدث له قصد الكشف عن الدوافع والأسباب التي تجعل الطفل ضحية للعنف الجسدي.

3-4- عينة الدراسة:

لقد استخدمنا نوع من العينات يتلاءم مع طبيعة الدراسة حيث تتمثل في فئة الأطفال (إناث وذكور) المعتدي عليهم جسديا.

وعلى هذا الأساس استخدمنا طريقة العينة التراكمية أو ما يسمى كرة الثلج "تضم عددا مختصرا من الأفراد يضم إليهم أشخاص يصرحون أنهم على علاقة بهم، ثم يصار إلى اتخاذ الإضافة نفسها مع الجدد حتى تستكمل العينة على طريقة كرة الثلج.(عماد عبد الغني، 2007، ص 60)

وعليه فإن عينة البحث أصبحت محصورة جدا و في غياب مجتمع أصلي أو العينة الأم التي تمثل لنا هذه المواصفات كان من الصعب إيجادها ولهذا أجرينا العديد من الاتصالات لكي توصلنا لهذا العدد "إن عينة الكرة الثلجية هي عينة تتمثل في إضافة إلى نواة من الأفراد...كل أولئك الذين هم في علاقة بهم وهكذا دواليك".(سبعون سعيد ، 2012 ، ص ص 148)

لكن يجدر الإشارة إلى أن نتائج هذا النوع من العينات يغيب فيها التعميم لأن العينة المدروسة لا تمثل المجتمع الأصلي وعليه فإن نتائج الدراسة تبقى مرتبطة بالمجتمع المدروس ولا يمكن تعميمها في أي حال من الأحوال.

5- عرض الحالات وتحليلها السوسولوجي

1-5- الحالة الأولى:

المبحوث طفل يبلغ من العمر 14 سنة يدرس مستوى الثانية متوسط قصير القامة يبدو على وجهه ملامح التعب و المعاناة ثيابه رثة تعكس حجم الفقر وتدني المستوى الاجتماعي ، يعيش رفقة والديه و خمسة إخوة، يمتن والده الفلاحة و يعيش جو أسري يسوده لا مبالاة و الإهمال و يطغى عليه الفقر والحاجة مما جعل المبحوث يحاول العمل قصد مساعدة أهله ولو بشيء القليل.

-إن المبحوث يعيش أزمة اتصال أسري نظرا لانشغال أبيه في العمل الفلاحي الذي يتطلب حضور يومي و انشغال أمه في الحياة اليومية و التزاماتها العائلية مما جعله يعيش حالة اغتراب عائلي فلا أحد يسأل عن وقت دخوله المنزل أو خروجه، وباعتباره من باعة الطريق أين يتعامل مع جميع شرائح المجتمع جعله يتعرض الاعتداء جسدي سبب له عجزا جسديا و ضرر نفسيا.

- تعرض المبحوث لضرب المبرح من قبل مجموعة من الأشرارهم في الأساس من جيرانه اين حاولوا الحصول على ما يملكه من مال و بعد رفضه قبول بالضرب المبرح و هؤلاء المعتدون هم في الحقيقة معروفون بإجرائهم و افتعالهم المشاكل و شرب المخدرات و الممنوعات .

بعض الملاحظات حول المبحوث:

- المبحوث متوسط القامة نحيل الجسم، يبدو عليه التعب، كان يبدو شاحبا ومتوترا.
- لديه تسريحة شعر عادية، ويلبس لباس رث.
- كان سريع الحركة.

التحليل والتعليق على الحالة الأولى:

يعيش المبحوث وسط أسرة تعتمد على الفلاحة كمورد أساسي في قضاء حاجياتها، ورغم محدودية دخل وعدم ثباته إلا أن الأب يحاول بشتى الطرق تلبية متطلبات الأسرة وأفرادها، وفي خضم انشغاله بخدمة الأرض وسد احتياجات الأسرة غفل عن دوره في الرعاية العاطفية والوجدانية للأبناء مع الأخذ بعين الاعتبار انشغال الأم هي الأخرى بالأعمال المنزلية.

-وجد المبحوث نفسه وسط أسرة تتسم بالإهمال واللامبالاة العاطفية، حيث يهمل الأولياء أطفالهم ولا يعطوهم أي اهتمام عاطفي ويظهر ذلك جليا في سلوكياتهم من خلال عدم السؤال عن تحصيلهم الدراسي والفرح بنجاحاتهم وتشجيعهم، مثل هذا الأسلوب السلبي يجعل الأولياء لا يقومون بدورهم وواجبهم إزاء أبنائهم خاصة إذا علمنا أن الطفل في مثل هذه السن لا يملك القدرة على اتخاذ القرارات أو تحمل المسؤولية، بل أنه يجعل من محيط المنزل مكان للأكل والشرب وقضاء حاجياته في ظل غياب من يسأل عن توقيت دخوله أو خروجه معتقدا أن جنسه يعطيه الحق للقيام بأشياء لا تستطيع الأنثى القيام بها كسهر لوقت متأخر ومخالطة أجناس بشرية مختلفة.

وفي هذا الصدد رسم "دوركايم" أهمية الأسرة بقوله: بأنه يكفي أن نقوم بملاحظة الطريقة التي تتبع في تربية الصغار، لنرى لأول وهلة بأن جميع أنواع التربية تنحصر في ذلك المجهود المتواصل الذي نرمي به إلى أخذ الطفل بألوان من الفكر والعاطفة والسلوك التي ما كان يستطيع الوصول إليها لوترك هو وشأنه ويضيف "دوركايم" وبيان ذلك أننا نضطره منذ حدثته إلى الأكل والشرب، والنوم في ساعات معينة، ونوجب عليه النظافة والطاعة، ثم نجبره على التعلم، وعلى مراعاة الآخرين، وعلى احترام العادات والتقاليد، وكذلك نوجب عليه العمل وغير ذلك من الأمور. (حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، 2011، ص 90)

- غياب ثقافة الحوار والنقاش داخل الأسرة يجعل الطفل يتخذ حلولا ارتجالية للمشاكل والمواقف التي تصادفه بدون علم الأسرة ومعرفة الوالدين ولا إشراكهم فيما يحدث معه، معتقدا أن الرجولة تقتضي مثل هذه التصرفات.

- تعرض المبحوث لاعتداء جسدي من طرف مجموعة من الأشرار في شكل تنظيم عصابي مكون من ثلاثة عناصر تسببوا له في جروح وكدمات بالغة الخطورة مما جعله يعيش حالة من البكاء والألم مصحوبة بذعر وخوف شديد، فالمعتدين حاولوا أخذ المال من المبحوث لشراء المخدرات وهذا في ظل غياب عنصر الضبط الخارجي ووسائله من شرطة، فكيف لمجموعة من الأشرار أن تتجول بدون حسيب ولا رقيب؟ فمن المفترض أن الشرطة ووسائل الأمن لها مسؤولية توفير الأمن والحماية للمواطنين، فما بالك بطفل لم يتجاوز سن الخامسة عشر من عمره وفي وضوح النهار.

-المثير للانتباه من كل ما قيل أن المبحوث وبعد حادثة الاعتداء لم يجد مساندة سوى من أسرته التي قدمت له يد المساعدة بكل ما أمكنها من وسائل وإمكانيات، وهذا في غياب الدعم ومساعدة الجيران والأقارب وباقي الأفراد المحيطين به وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تغير الذي طال سلم القيم في المجتمع، فلم يعد هناك قيمة تسمى التضامن ولا الجيرة ولا تكافل الاجتماعي بل غاب حتى سؤال الجار عن جاره والقريب عن قريبه، فالتغيير الذي مس المجتمع لا يسير دائما نحو التقدم كما يبدو من معناه بل قد يكون إلى الوراء فيعد تخلفا، وهذا ما نلمحه على مستوى التغيير الذي مس بعض القيم الاجتماعية، فالتحولات السريعة هي التي ساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات بفعل العولمة تارة والتحضر والتمدن وأفرزت في خضمها قيم بديلة أبرزها صعود الفردانية وطغيان المادية وتبلور الأنانية وحب الذات.

2-5- الحالة الثانية:

-المبحوثة تبلغ من العمر 12 سنة تدرس الثانية متوسط يبدى عليها مظاهر الحاجة من سوء الملبس و هزل الجسد وضعفه، تقطن في إحدى القرى الريفية، يعمل والدها حارس في البلدية مقر سكنهم تنتهي المبحوثة لأسرة فقيرة نظرا لمدخل الأب المتدني الذي لا يسد كل احتياجات الأسرة ورغم ذلك يحاول الأب توفير ما يمكن توفيره لأسرته وأفرادها من أجل العيش الكريم لعائلته وهذا ما اضطر المبحوثة رفقة أخوها الأصغر إلى بيع الخبز على قارعة الطريق لعلها تساعد أسرتها في تلبية بعض الحاجيات.

-تعرضت المبحوثة إلى الضرب من قبل أحد الأفراد بعدما قام بسقوط أمامها فلم تتمالك نفسها و تبسمت وضحكت فقام بضربها كرد فعل عن سلوكها العفوي.

-المعتدي غريب عن منطقة سكن الفتاة .

-تم الإبلاغ عن الواقعة من طرف أب المعنية ولكن الأب قام بإلغاء التبليغ ومسامحة الفاعل.

-عند تعرض الفتاة لضرب من قبل المعتدي لم يقم أحد بتدخل و مساعدتها.

بعض الملاحظات حول المبحوثة:

- المبحوثة قصيرة القامة، تبدو متوترة وخائفة جدا.
- ترتدي سروال جينز أزرق، وتنورة بيضاء.
- طوال المقابلة كانت تتحسروتبكي من حين لآخر.

التعليق والتحليل على الحالة الثانية:

-المبحوثة من أسرة مستقرة اجتماعيا وعاطفيا يتسم جوها العام بالحب والعطف والحنان وعلاقات أخوية أكسبتها صحة نفسية وإشباع وجداني، فالوالدين يوفران لها كل احتياجاتها الأساسية دون تقصير منهم على اعتبار أنهما مسؤولان على تلبية الحاجات والرغبات للأبناء، فالأسرة كمؤسسة اجتماعية وخليقة أساسية في تكوين المجتمع يعود لها أمر قضاء الحاجيات ويذهب علماء التربية في هذه النقطة إلى أبعد من ذلك بالقول أن على الأب أن يشرح للطفل كيفية جلب النقود ومدى الجهد الذي يبذله الوالدان لتوفير احتياجات الطفل والأبناء بشكل عام، ليتعلم كيفية التنازل والتضحية ببعض حاجاته لصالح غيره من أفراد الأسرة ولا بأس أن يعرف أن الوالدان لديهما احتياجات وضروريات لم يتم تلبيتها بسبب الأوضاع المالية أو بسبب تلبية احتياجات الأبناء.

-رغم محاولات الأب لتلبية احتياجات أسرته إلا ان تدنى الوضع المعيشي جعل المبحوثة رغم صغر سنها تساعد والدها قصد كسب بعض المال للمساعدة واعالة الأسرة وهذا ما عرضها للاعتداء وقد أشارت دراسة "منيرة بنت عبد الرحمن آل سعود" والمعنونة "إيذاء الأطفال أنواعه، أسبابه، خصائص المتعرضين له." والتي أجريت في مستشفيات مدينة الرياض السعودية عام 2004 وقدمت على شكل كتاب صدر عن جامعة نايف للعلوم الأمنية إلى أن أكثر أنواع العنف ضد الأطفال انتشارا هو الاعتداء البدني بنسبة 91% وأن أحد أهم أسباب تعرض الطفل للعنف هو انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة والتفكك الاسري وعدم معاقبة الجاني يجعل الفرصة متاحة لتكرار السلوك المؤذي لذا وجب أن يكون هناك قانون ينص على أن يتم ابلاغ الجهات الأمنية المختصة عند وجود حالة اعتداء.(منيرة بنت عبد الرحمن آل سعود ، 2004، ص 27)

-المبحوثة تعيش وسط أسرة تمتاز بسهولة الاتصال الأسري جعل علاقاتها مع أصدقائها وزملاء الدراسة وجيرانها مكشوفة للوالدين وهذا بالأخذ بعين الاعتبار جو الحوار والنقاش السائد في البيت والذي أصبح بموجبه أي مشكل يصادفها يشترك في نقاشه وإيجاد الحلول المناسبة له كل أفراد الأسرة

والمراجع أن استخدام أساليب التنشئة الأسرية السوية على شخصية المبحوثة جعلها تدرك أهمية العلم والمعرفة في حياتها وبناء مستقبلها مما جعلها تحبذ البقاء في البيت للدراسة على الخروج مع الأصدقاء ورفقائها ولكنها تحاول مساعدة أخاها في عمله اليومي.

- سلوك الضحك العفوي للمبحوثة يدل على عدم نضجها الاجتماعي وعدم قدرتها على تقدير عواقب الأمور جعلها تتعرض لحادثة اعتداء جسدي أصيبت بموجبه بجروح وإصابات بليغة أدخلتها في حالة من الألم والحزن وهذا في ظل غياب عنصر الضبط الاجتماعي، فمن المفترض أن المكان الذي حدث فيه الاعتداء يعتبر بمثابة سوق ويجب توفير الحماية هناك خاصة إذا كان الباعة هم أطفال صغار همهم الوحيد جمع دنائير من النقود لمساعدة آبائهم في مصاريف.

- المعتدي في هذه الحالة هو غريب عن الضحية ولم يسبق أن شاهدته أو تعاملت معه ولا تربطها معه أي نوع من أنواع العلاقات الاجتماعية، الملاحظ أن غياب عنصر الضبط الداخلي أو الذاتي عند المعتدي جعله يبتعد كل البعد عن معاني الرحمة والشفقة والعطف خاصة وأن الضحية هي طفلة لا يتجاوز سنها الثانية عشرة من عمرها ولا تعي عواقب أفعالها وتصرفاتها في مازالت في طور تكوين وبناء شخصيتها.

لاقت المبحوثة من الأصدقاء والمعارف والأقارب الجفاء وعدم التدخل و التضامن ، فقد أصبحوا يتفادون الحديث والجلوس معها، بل أصبحت موضوع للنقاش وزرع الإشاعات وتأليف القصص والروايات يضاف إلى ذلك تغير العلاقات الاجتماعية التي أصبحت تتسم بالنفاق الاجتماعي ويغلب عليها طابع السخرية والاستهزاء بما حدث مع المبحوثة، فتغير الذي طرأ على سلم القيم في المجتمع فطغت النزعة الفردية وحب الذات وغاب التأزر والتضامن الاجتماعي وقد مس التغيير مستوى العلاقات داخل الأسرة الذي أصبحت أكثر مراقبة وضبطا للخوف الذي نال الوالدين من الحادثة وقصد حمايتها من أي خطر ممكن أن يحدث لها مستقبلا.

- غياب معاني التكافل والمساندة والمساعدة جعلت المبحوثة تجد صعوبة كبيرة في التكيف الاجتماعي والاندماج، فالتكافل الاجتماعي مظهر من مظاهر التضامن والتعاطف والترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع يستشعر فيه الفرد مسؤولياته اتجاه أفراد المجتمع ويتضمن مد يد المساعدة المعنوية والمادية والمساهمة في أعمال الخيرية أو تقديم النصيحة والإرشاد والتوجيه، فالحياة الاجتماعية ليس بالإمكان أن تنظم بجهود الفرد كفرد، بل بجهود الفرد منظما إلى المجموعة ليصل الجميع إلى أهدافهم المنشودة.

3-5- الحالة الثالثة:

-تبلغ المبحوثة من العمر 11 سنة تدرس السنة الرابعة ابتدائي وهي البنت الصغرى و مدللة المنزل جميلة الشكل بشعرها الأشقر والعينان الزرقاوان حيوية ونشيطة تلفت النظر لمجرد رؤيتها، يعمل والدها عامل يومي تعيش في وسط أسري يسوده الحب و التأزر رغم أن ظروف المادية للأسرة جد صعبة نظرا لتدني الدخل اليومي للأسرة.

- يطغى على العلاقات الأسرية للمبحوثة الحب و الود و التعاون وروح المسؤولية والمحبة بين أفرادها. -تزاول المبحوثة الدراسة في السنة رابعة ابتدائي و تجلس في القسم مع زميلة لها تتسم بالعدوانية و العنف و التشويش على زميلتها مما يضطرها دائما لتتعارك معها و هو ما حدث يوما أين تعاركا ليفض الاشتباك بينهما إلا أن زميلة المبحوثة أخبرت والدتها بالحادثة فقامت بالتربص بها و الاعتداء عليها جسديا و تهديدها بالقتل.

-قام والد المبحوثة بتبليغ لدى مصالح الأمن و لكن تدخل الجيران و المعارف حال دون إيقافها و معاقبتها.

-لقيت المبحوثة تضامن مع المقربين من عائلتها و محيطها المدرسي و حتى الجيران و المعارف.

بعض الملاحظات حول المبحوثة:

- المبحوثة متوسطة القامة، ممتلئة الجسم وذات قوام.
- كانت ترتدي سروال جينز أسود، ومأزر وردي.
- كانت تبدو واعية وواثقة من تصرفاتها.

التحليل والتعليق على الحالة الثالثة.

- نشأت المبحوثة وسط عائلة مستقرة من ناحية النفسية والاجتماعية، و حضيت في كنفها بحب والديها وعطفهما واهتمامهما بقضاء جميع احتياجاتها لاسيما وأنها الأصغر سنا والبنت الوحيدة وسط إخوتها الذكور، وعلى هذا فقد عاشت المبحوثة في ظل جو أسري يسوده التآلف وعلاقات الحب والود والقيم والمبادئ والعادات والتقاليد، فالأسرة هي المؤسسة التعليمية الأولى في المجتمع التي يتلقى فيها الطفل المعايير والمبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد وتتشكل فيها شخصية الطفل وتعمل الأسرة ككيان إنساني يتأثر بالمجتمع لأنه جزء منه ويقوم بوظائفه في نطاق المجتمع ومرجعياته، غير أن التنشئة ليست مادية فقط بقضاء احتياجات الطفل ومتطلباته من مأكلا ومشرب وملبس ولا أخلاقية فقط بل أنها نفسية ووجدانية تتعلق بالبعد العاطفي والوجداني وهذا ما عبر عنه "دوركايم" حين

قال: "أننا في الأسرة نجد حلاوة مع من نحبهم وعدوبة مع من نعيش معهم"، فالأسرة هي التي تمد الفرد بالتوازن النفسي وأن النمو السوي للطفل يرتبط بالنمو داخل الأسرة، إذ حتى الأم التي لا تهتم فهي في الواقع تمد طفلها بكثير من العواطف والحنان حتى قيل: "أسوأ بيت أحسن من أجمل روضة" وعليه فالأسرة ضرورية بوظائفها ومهامها.

إن التربية السوية للمبحوثة جعلتها رغم صغرسنها تدرك أهمية وضرورة الاتصال الأسري خاصة وأن علاقاتها داخل الأسرة أو خارجها تعتبر علاقات مكشوفة فرفقائها في الحقيقة ما هم إلا جيرانها وأصدقاء الدراسة والوالدين لاسيما الأم على دراية تامة بهم، كما وأن العملية التطبيعية للأسرة كرست مفاهيم عديدة في ذهن الأبناء الذين دأبوا عليها منذ القدم، فموعد دخول إلى البيت والخروج منه أصبح تقليدا وعرفا متعارف عليه لا يمكن لأحد تجاوزه خاصة في ظل احترامه من قبل الأولياء، فالتعلم بالقدوة من أهم الأساليب التربوية الناجحة في تربية الأبناء، وما يزيد من تعميق أو اصر العلاقات الأسرية هو تنشئة المبحوثة على ثقافة البوح بكل ما يحدث معها في المحيط الأسري أو في المدرسة أو مع جماعة الرفاق أو أي فضاء اجتماعي يمكن أن تتواجد فيه، لأن التزام الطفل الصمت والسكوت يجعله يعيش صراعات داخلية نفسية قد تؤدي به إلى الاكتئاب والعزلة و من ثم التفكير في الانتحار، لذا ينصح علماء التربية الأولياء بإثراء النقاشات المنزلية حتى يتسنى لهم معرفة جميع مشاكل الطفل وانشغالاته.

- تعرض المبحوثة لاعتداء جسدي من طرف والدة زميلة لها في المدرسة جاء نتيجة حادثة عراق وقعت أحداثها بين المبحوثة وابنتها مما جعلها وبدافع الأمومة تتهجم على الضحية وتبرحها ضربا وتتسبب لها في كدمات وجروح، بينما كان من الأجدر بها الاتصال بوالديها وإبلاغهما عن حقيقة ما وقع من عراق بين الطفلتين، فغياب الضبط الداخلي للمعتدية جعلها تتصرف بعدائية دون شفقة ورحمة، وفي ظل هذا الوضع ما كان من الأب إلا إبلاغ مصالح الأمن عن الحادثة التي سبب الألم النفسي والجسدي للمبحوثة وجعلها تدخل في حالة حزن ونفس الشيء بالنسبة للأسرة التي لم تستوعب ما حدث مع ابنتها الصغيرة ومن طرف معتدية لا يبتعد محل سكنها عن بيت المبحوثة سوى ببضع أمتار وترتبطهم معها علاقة قرابة.

- تقدم الأب لمصالح الأمن وإيداع شكوى على مستواهم في حق المعتدية واستكمال الإجراءات إلا أنه وبتدخل أطراف ممثلة في الجيران والمعارف وزوج الجانية وحتى إمام المسجد ونظرا لحساسية الوضع خاصة وأن المعتدية امرأة فقد اضطر الأب بعد كل هذه الضغوطات لتنازل عن الشكوى والاكتفاء

بمحضر عدم التعرض للطفلة وأسرتهما مجدداً، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على بقاء بعض القيم الراسخة في عمق المجتمع الجزائري كقيم التسامح واحترام مكانة الاجتماعية للإمام الذي يبقى رغم مرور الزمن وتغير الاجتماعي ذا دور اجتماعي مرموق يساهم في الاستشارة في اتخاذ القرارات إن لم يكن في اتخاذها.

-المعتدية تربطها علاقة جيرة مع الضحية وأسرتهما، فهي تنحدر من أسرة معروفة بالتدين والطيبة والصلاح وسط المعارف والجيران ولا يخفي على أحد من سكان المنطقة أن المعتدية لم ترث من عائلتها مكارم الأخلاق والصلاح، فالكل يشهد بأنها امرأة متعلمة ولكنها تفتقد لأساليب المعاملة مع الجيران والمعارف بإثارة المشاكل والخلافات لأنفه الأسباب، فالجانية تملك شخصية متدينة وملتزمة تؤدي الفرائض وسننه خاصة وأنها ترتدي الجلباب الذي يعتبر مظهر حتى وإن كان شكلي في بعض الأحيان للتدين مثله مثل اللحية والقميص...إلخ، ولكنها وقعت ضحية غريزة الأمومة التي دفعها لتتجه على المبحوثة كان همها الوحيد الانتباه للمعلمة أثناء شرح، فما يحدث داخل الأقسام المدرسية من شجارات وخلافات ثنائية وقد يصل إلى عنف يجب أن يتدخل المعلم لحله بطرق بيداغوجية محكمة، فلا يمكن حصر دور المعلم كناقل للمعرفة ومسؤولاً مباشراً عن التحصيل الدراسي للتلاميذ، بل أنه يلقي على عاتقه مسؤولية تحقيق الانضباط وحفظ النظام داخل الحجرة الدراسية لتحقيق سلوك إيجابي لدى التلاميذ قوامه الانضباط والنظام.

-إن المحيط الأسري والاجتماعي الذي تعيش فيه المبحوثة ساعدها في تجاوز حادثة الاعتداء خاصة بعدما وقف معها البعيد قبل القريب لتجاوز ما حدث معها، فقد شكل الأصدقاء ورفقاء الدراسة جداراً منيعاً ساعد في رفع معنوياتها وإعادة إدماجها في الحياة بصفة عادية، يضاف إلى ذلك تحسن علاقاتها داخل الأسرة وزيادة وعي أهلها بضرورة متابعة ومراقبة المبحوثة وتوفير هامش أكبر من الرعاية والحماية، أما في الوسط المدرسي حيث باتت تحس بحب في الدراسة أكثر من أي وقت مضى بعد توفر الجو المناسب، وقد لعبت المعلمة دوراً مهماً بدرسها البسيط التي أحييت فيه معاني الحب والصدقة والأخوة بين التلاميذ بهدف عدم تكرار مثل هذه الأحداث.

-إن ما خفف من وطأة حادثة الاعتداء هو التفاف الجيران والأقارب والمعارف والأصدقاء معها في وقفة تضامنية تنم عن درجة النضج الأخلاقي والانفعالي للأفراد ونظم التربية التي تسمح لهم بتكافل حقيقي بينهم، فالتضامن الآلي كما ذكر "دوركايم" هو التضامن الحقيقي الذي يستشعر فيه الإنسان مسؤوليته العميقة إزاء نفسه والآخرين ويعتقد أن خدمة الآخرين وإبداء الخدمة له والمساعدة مسألة

تخص الوجود الإنساني نفسه ، فأخلاق التضامن الآلي هي التي تستطيع احتضان التجارب الإنسانية الناجحة، بينما التضامن العضوي فيتخذ من الأخلاق الشكلانية واجهة اجتماعية وليست إلزاما أصيلا بأخلاق الواجب وعلى هذا يشير إلى الاندماج والتكيف الاجتماعي.

4-5- الحالة الرابعة.

-المبحوث يبلغ من العمر 15 سنة يدرس في مستوى الثانية متوسط طويل القامة يبدو عليه علامات الفقر والحاجة من خلال ملبسه وملامحه العامة وينتهي لأسرة متكونة من سبعة أفراد يعمل الأب عامل يومي وتعاني الأم من مرض مزمن وما زاد الطين بلة المستوى المتدني للعيش مما جعل المبحوث يقوم ببيع بعض المنتجات الفلاحية قصد مساعدة أسرته ولو بقليل.

-لأسرة المبحوث علاقات متوترة مع أحد جيرانه وفي إحدى مرات قام عراك بين أسرة المبحوث و جاره مما أدى إلى اعتداء جسدي للمبحوث تسبب له في عجز بعد إدخاله المستشفى.

-قامت وسائل الأمن بالتدخل وفك الخلاف والقاء القبض على المعتدي.

-تعرض المعتدي لعقوبات جزائية بسبب الاعتداء الجسدي على المبحوث.

-تلقى المبحوث دعم من قبل أفراد أسرته والمحيطين به من جيران وأقارب.

بعض الملاحظات حول المبحوث:

- المبحوث طويل القامة ونحيل الجسم، كان يبدو شاحبا ومرهقا.
- لديه تسريحة شعر عادية، وتبدو عليه علامة الفقر والعوز والحرمان.
- كان يبدو متوترا وقلق.

التحليل والتعليق على الحالة الرابعة:

ينحدر المبحوث من أسرة متوسطة الدخل، لأب يشتغل بالبناء لتحصيل قوت يومه، وأم تسعى جاهدة رغم مرضها وألمها للقيام بواجباتها المنزلية المناطة بها، هذا الوضع جعل من اهتمام الوالدين بالمبحوث أمرا غير وارد نظرا لانشغالهما بمتاعب الحياة ورحلة البحث عن أساسيات الحياة، فإهمال الطفل يتضمن في مفهومه عدم وجود شخص مسؤول عن رعايته وتربيته لحماية صحته النفسية والجسدية والسلامة العامة، كما يشمل الفشل المستمر في تلبية احتياجات الطفل الأساسية المادية والعاطفية الوجدانية، كما يشمل حماية الطفل من الضرر البدني والنفسي أو الخطر وضمان الإشراف الملائم.

وفي هذا الصدد أكدت دراسة تحت عنوان "العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري (دراسة ميدانية لعينة من الأسر المقيمة ببلدية براقى"، قدمها "حسان عرباوي" عام 2004 لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر أن العنف الممارس ضد الأطفال له علاقة بالمستوى السوسيواقتصادي للأسرة وكذلك تأثير الأساليب التربوية المعتمدة في الأسرة، تأثير التصورات والنماذج الأسرية لسلوك العنيف، تأثير شكل الأسرة وحجمها والوضعية السكنية يضاف لها العوامل المتعلقة بالمحيط الخارجي للأسرة بداية بعنصر الثقافة وتأثير مؤسسات التنشئة الاجتماعية. (حسان عرباوي، 2004، ص 49)

- المبحوث هو ضحية نزاع بين والده وجاره، الذي حاول التعدي على ملكية خاصة مما جعل شجار ينشب بين الجانبين نتج عنه تعدي على المبحوث مما ألزمه البيت لمدة 10 أيام كاملة، فقد خلق هذا الاعتداء حالة خوف وهلع وألم شديدين للمبحوث وأسرته خاصة أن المبحوث حاول حماية والديه والدفاع عنه . وعلى هذا أصبحت النزاعات والخلافات بين الجيران من القضايا التي تتصدر جلسات المحاكم وهذا هو حال أسرة المبحوث الذي تقدمت بشكوى في حق الجار كلفته حكم قضائي يقضي بموجبه مدة سنة سجنا، فهذا النوع من القضايا يعد سابقة خطيرة تعكس جزء من مشكلة عامة تهتك العلاقات الاجتماعية ويرجع ذلك إلى طبيعة التغيير الاجتماعي الذي عرفه المجتمع المعاصر وغلبة المصالح الشخصية والمادية والأخطاء التربوية التي يقع فيها الآباء فينشؤون أبناءهم على الأنانية والعنف وعدم الرضا والقناعة بما لديهم ولا يربونهم على حب الخير والتعاون والآثار، ولا يدرك الآباء أن ما يلقنونه لأبنائهم في مرحلة التنشئة الأولى من قيم ومبادئ وأخلاق هو الذي يسيطر على سلوكياتهم المستقبلية، فالحقيقة أن لرابطة الجوار دور كبير في حركة المجتمع وتطوره ورقبه فهي علاقة إنسانية تأتي في المرتبة الثانية بعد رابطة الدم والرحم، فالجيران هم المحيط الاجتماعي المصغر للمجتمع الذي تعيش فيه الأسرة والتمتع بحسن الجوار حق اجتماعي لجميع أفراد المجتمع.

-شخصية المعتدي فهو جار المبحوث ويكبره سنا وبنية جسدية وعقلية والذي كان من المفترض أن يكون سندا له بعد والده فالعلاقة بين الجيران يجب أن تكون متينة حتى تشكل إطار لعلاقة متميزة بين أشخاص لا تربطهم رابطة دم أو صلة رحم، بل تربطهم رابطة إنسانية أخرى هي الجيرة ومثل هذه العلاقات أساسية لأن الانسان دائما في حاجة لغيره بحكم أنه اجتماعي بطبعه.

-ما ساعد المبحوث على تجاوز آثار الحادثة هو ذلك التأزر والتفاهم الذي لاقاه من المحيطين به سواء كانوا أصدقاء أو جيران أو حتى أقارب، فالتضامن الاجتماعي في مفهومه يعني التكاتف والتعاون وأن

يكون الناس مع بعضهم البعض ضمن رابطة معينة تجمعهم وتدمجهم مع بعضهم البعض من أجل تحقيق الأهداف وغايات محددة تعود بالنفع على جميع المتضامنين، فالتضامن هو وسيلة لتفريج الكروب والهموم، فالناس يتعرضون للكثير من المشاكل في حياتهم ويكون التضامن فيما بينهم طريقة لأن يشعر كل إنسان بأخيه فيطلع فيها على مشاكله وهمومه ويعمل على المشاركة في حلها، فتضامن الاجتماعي هو قوة للمجتمع ولو أن المجتمع الحقيقي هو الذي يحافظ على هذه القيمة رغم التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع ومست جميع أنظمتها و أنساقه، ومن هذا المنطلق حضي المبحوث برعاية أسرته وحماية وتضامن الأفراد المحيطين به مما جعله يعود سريعا للقيام بدوره الاجتماعي المناط به، ويسعى لتحقيق الأهداف المسطرة.

5-5- الحالة الخامسة:

-المبحوث يتجاوز عمره 14 سنة متوسط القامة يحمل ملامح البراءة المقرونة بالنشاط و الحيوية وهو من أسرة متكونة من 04 إخوة أحدهم لديه إعاقة حركية و المبحوث يدرس السنة الثانية متوسط و والده أستاذ متقاعد في سلك التعليم و ينتهي المبحوث لأسرة ميسورة الحال و تتميز علاقاتها بالحب و الود و الإخاء.

-تعرض المبحوث لاعتداء جسدي بعد مناقشات مع أحد الأفراد خلال حضوره لمقابلة لكرة القدم.

-المعتدي هو جار المبحوث و كثير المشاكل و معروف عليه بافتعاله للخلافات فهو مسبوق قضائيا.

بعض الملاحظات حول المبحوث:

- المبحوث متوسط القامة، كان يبدا و هادئا و مهذباً و طيب القلب.

- لديه تسريحة شعر عادية، يرتدي سروال جينز أزرق و معطف أسود و حذاء رياضي.

التعليق و التحليل على الحالة الخامسة:

يعيش المبحوث وسط أسرة نموذجية في علاقاتها الاجتماعية، حيث حظي بجو أسري مليء بالحب و العطف و الحنان خاصة وأنه أصغر أفرادها سناً، يضاف إلى ذلك تلبية مجمل رغباته و حاجياته المادية من مأكلاً و مشرب و ملبس ليتجاوز الأمر إلى جانب التعزيز بالمكافأة و المقرونة بمستوى التحصيل الدراسي، فالاهتمام الأسري أمر أساسي في عملية التنشئة الاجتماعية لا سيما إذا تم اقترانه بالمراقبة الوالدية في جانبها الإيجابي.

فالأسرة هي الخلية الحية في كيان المجتمع و الطفل جزء منها و ينطبع بطابعها و يتأثر بتربيتها، فهي أقدم مؤسسة اجتماعية للتربية عرفها الإنسان، و لازالت في المجتمعات المختلفة هي مصدر التربية

والمعرفة لأبنائها، رغم أن تطور الحياة البشرية واستقرار الإنسان وبناء المجتمعات المدنية والقروية وزيادة الخبرات البشرية وتعدد أنواع المعرفة البشرية ومصادرها أدى إلى دخول مؤسسات أخرى غير الأسرة في تربية ورعاية والاهتمام ورغم ذلك تظل أول حاضنة للفرد وأول دعامة تنشئية له.

ولعل من الأساليب التربوية أسلوب المكافأة فسلوك الطفل المقبول أو المرفوض يتعزز بالمكافآت التي يتلقاها من والديه خلال العملية التربوية أو تلك التي يوعد بها إذا قام بسلوك جيد، وعلى هذا تعد المكافأة والإثابة منهج تربوي أساسي لسيطرة وتحكم في أسلوب الطفل بل وتطويره وهي كذلك أداة في خلق الحماس ورفع المعنويات وتنمية الثقة بالذات حتى عند الكبار أيضا لأنها تعكس معنى القبول الاجتماعي الذي هو جزء من الصحة النفسية للطفل.

ورغم وجود طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة داخل الأسرة إلا أن الوالدان كيفا أنفسهما مع هذه الوضعية ولم تأثر على علاقاتهم الداخلية نظرا لجدية القرارات المتخذة من قبل الأب الذي يعي ضرورة تحمل مسؤولية طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة لأنه وحده من يملك أن يوفر له الجو المناسب للعيش الكريم، وعلى هذا فقد كان المبحوث محظوظا بأب يربطه به رابطة الأبوة ورابطة الصداقة، فيفصح له عن جميع تفاصيل حياته ومشاكله اليومية التي تعترضه، فمن الضروري كما يقول الأخصائيون الاجتماعيون يجب على كل أب محاولة التقرب من حياة أبنائه وبالأخص في مراحل المراهقة وأن يكون مستمعا جيدا لمشاكلهم وأحاديثهم وأن لا يقابل أي خطأ منهم بالعنف حتى لا يجبرهم إلى اللجوء إلى صديق آخر ربما لا يكون في مستوى الثقة ، وهنا نحن لا نقول أن صداقة الطفل مع رفقاء من مثل سنه غير مطلوبة وخطرة بل نشجعهم، فهم يحتاجون لصداقات نافعة ومفيدة تكون لهم درعا من رفقاء السوء ومن هنا يأتي دور الأولياء في المساهمة في اختيار أصدقاء أبنائهم بدلا من تركهم يقعون في أيادي رفاق السوء.

وعموما فالمبحوث لم يكن يدرك أن قراره بذهاب لمشاهدة مباراة كرة القدم ستتحول إلى حادثة مؤلمة تلقى من خلالها إصابات بليغة على مستوى الرأس والوجه جعلته يدخل في حالة من المعاناة والألم هو وعائلته التي لم تدرك حقيقة ما حدث من هول الصدمة، مما جعل الأب يتجه صوب الجهات الأمنية المختصة لاتخاذ الإجراءات المناسبة وتقديم شكوى في حق المعتدي، فتعرضه للحادثة جاء في مكان ليس ببعيد عن ملعب كرة القدم فهو يقع بمحيطه و من المفترض أن يكون مؤمنا لأنه من الممكن قيام أي أعمال عنف أو شغب، فغياب الضبط الخارجي والمتمثل في غياب وسائل الأمن والشرطة في حماية المناصرين ومتفرجين جعل المبحوث يتعرض لحادثة الاعتداء الجسدي، فمؤسسة الشرطة هي التي

تحرص على رعاية قواعد السلوك العام، والعمل على عدم الخروج عنها، فهي تشكل عماد سلطة المجتمع من خلال القيام بواجباتها الأمنية للحفاظ على الأمن والاستقرار، فجوهر الوظيفة الأمنية خدمة المواطن كما أن الشعور بالمسؤولية والوعي بأهمية دور المواطن في استقرار المجتمع هما الخطوة الهامة المتصلة بالعمل على الأمن لسلامة المجتمع.

وبالعودة إلى شخصية المعتدي، فهذا الأخير هو جار المبحوث وينحدر من عائلة ذات سمعة سيئة وعلاقات شبه معدومة مع الأفراد المحيطين به لتفادي خطورته الإجرامية، والمعتدي لم يشذ عن القاعدة بسلوكه الانحرافي وسمعته السيئة مع الأفراد المحيطين به، فللمعتدي سوابق إجرامية خاصة وأنه ينشط ضمن جماعة أشرار سبق لها وأن سطت على بيت وتم الحكم عليه في القضية، فغياب الوازع الديني وابتعاد المعتدي على تعاليم الدينية وشعائره كالصلاة والصيام جعله يصبح شخصية إجرامية تسبب من خلالها في حادثة الاعتداء في حق طفل يصغره في السن والنمو الجسدي والعقلي ويفتقد قدرة الرد وحماية نفسه ومقاومة معتدية.

ويرجع الفضل لشفاء السريع للمبحوث من أثار النفسية والجسدية لحادثة الاعتداء لما لاقاه من مساعدة وتعاون من طرف المحيطين به، سواء كانوا أصدقاء أو أقارب فقد لمس فيهم شعورا بالتضامن مع معاناته بل وتشجيعا لمواصلة مسيرته معتبرين إياها حادثة عارضة ليس إلا، يضاف إلى ذلك الجو الذي هبأ له داخل أسرته من أجل استرداد عافيته حتى ولو أن سلوك الوالد أصبح أكثر ضبطا ورقابة ولكن هذا مبرر نظرا للخوف على الابن من أي حادثة أخرى أو أي خطر محقق به.

ويمثل التضامن الاجتماعي العلاقات والروابط الاجتماعية التي تجمع ما بين الأفراد والجماعات باعتباره علاقة قائمة ما بين الأفراد يقوم على مبدأ حماية القوي للضعيف واعتناء الغني بالفقير مما يجعله يقع ضمن التكافل الاجتماعي التي دعت إليه كل الأديان السماوية والذي يقوم على تحقيق مظاهر التعاون والرحمة والعطف والود بين أفراد المجتمع وبين الجماعات المختلفة.

6- الاستنتاج العام للدراسة:

استنتجتا من خلال هذه الدراسة الميدانية المعنونة بالاعتداء الجسدي ضد الأطفال في المجتمع الجزائري بأن هناك العديد من العوامل والأسباب التي جعلت هذه الظاهرة واقع في مجتمعنا الجزائري وهذا ما أشارت إليه نتائج الدراسة.

إن الإهمال الأسري وكذلك غياب الرقابة الوالدية والمرافقة المستمرة من طرف الأولياء تعد من أبرز النتائج باعتبار أن الأسرة هي أول مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فالجانب المادي وحده لا يكفي لصيانة الأبناء في أن يكونوا ضحايا للعديد من الاعتداءات بما في ذلك الاعتداء الجسدي. بالإضافة إلى ذلك فإن معظم المعتدين إما مجهولون أو حتى من الأقارب أو الجيران وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تراجع قيم التضامن والتكافل الاجتماعي، وذلك راجع إلى التغيرات والتحولات التي أصابت نسق المجتمع الجزائري حيث طغت الفردانية والأنانية والمصالح الشخصية وهذا ما زاد من حدة تنامي هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري.

كما أن خروج الطفل إلى الشارع بشكل مستمر وذلك بحكم طرده من الدراسة أتاح أمامه وقت فراغ كبير، وبالخصوص أنه لم يستفد من أي تكوين يسد فضاء تنفيسه وبالتالي هنا ما يكون إلا ضحية اعتداء جسدي.

وما زاد من الطين بلة هو أن معظم الأسر تغيب لديها ثقافة التبليغ عن الاعتداء الذي تعرض له الابن خوفا من الفضيحة والعار، أو حتى الخوف من الجاني بحد ذاته، وهذا ما يفتح المجال إلى تحول الاعتداء الجسدي إلى اعتداء جنسي مستقبلا وذلك في ظل سياسة عدم التبليغ. ضف إلى ذلك فالمحيط السوسيوثقافي الذي يعيش فيها الطفل يعد من بين المؤثرات التي تجعل الطفل يقع ضحية لمثل هذه الأنواع من الاعتداءات، وهذا ما تفسره الثقافة الفرعية للأحياء السكنية التي تتميز بالعنف والتسلط والعدوان.

7- خاتمة:

ما يمكن استخلاصه في آخر هذه الدراسة الميدانية المعنونة بالاعتداء الجسدي ضد الأطفال في الجزائر أن هذه الظاهرة تعتبر نتاج العديد من الأسباب والعوامل فجميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية مسؤولة عن هذه الظاهرة ابتداء من الأسرة فالمدرسة والمسجد وجماعة الرفاق وصولا إلى وسائل الإعلام والاتصال، ولعل أن غياب ثقافة التبليغ هي التي زادت من حدة الظاهرة في المجتمع الجزائري فتكتم من طرف الأسرة خوفا من الخوض في مشاكل وغيرها ، بالإضافة إلى المحيط السوسيوثقافي الذي يعيش فيه الطفل وبالأخص إذا كان يمتاز بالعنف والعدوان فالنتيجة هنا أكيد أن الطفل سيقع ضحية اعتداء جسدي متفاوت الخطورة، قد يوصله إلى حد الموت. وعليه يجب تضافر جميع الجهود من طرف جميع المؤسسات الاجتماعية والمجتمع المدني في الوقوف أمام جميع هذه العوامل، للحد من تأثير هذه الظاهرة التي أصبحت تهدد الحياة الاجتماعية.

قائمة المراجع:

1. جمال معتوق. (2008) مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي. ج1. الجزائر. داربن مرابط للنشر
2. حسان عرياوي. (2004). العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري. مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
3. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (2011). أطفال الشوارع. مصر. دار الكتب والوثائق القومية.
4. الرشيد صالحي بشير. (2000). مناهج البحث التربوي: رؤية تطبيقية مبسطة. دط، دار الكتاب الحديث.
5. سبعون سعيد. (2012). الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع. ط2، الجزائر. دار القصبه للنشر.
6. سيد أحمد محمد غريب. (1989). البحوث الاجتماعية. د ط. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.
7. صابر عوض فاطمة و خفاجة علي ميرفت. (2000). أسس ومبادئ البحث العلمي. ط1، الإسكندرية. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.
8. عماد عبد الغني. (2007). منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات. ط1، بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.
9. عنابي عبد الحميد حنان. (2015). تربية الطفل في الإسلام. دط. عمان. دار صفاء للنشر والتوزيع.
10. عناية غازي. (1985). إعداد البحث العلمي. د ط. باتنة. دار الشهاب.
11. فتحي المكي، كريمة بن زينة. (2022). دوافع إقبال الطفل على السرقة في الأسواق الشعبية: دراسة ميدانية بولاية عين الدفلى. مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف. المجلد7. العدد2.
12. قباري إسماعيل محمد. (1982). البحث في علم الاجتماع: مواقف واتجاهات معاصرة. د ط. الإسكندرية. منشأة المعارف.
13. مجيد شاكر سوسن. (2008). العنف والطفولة. ط1. عمان. دار صفاء للنشر والتوزيع.
14. منيرة بنت عبد الرحمن آل سعود. (2004). إيذاء الأطفال أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له. الرياض. جامعة نايف للعلوم الأمنية.
15. ياسين بودهان، أطفال الجزائر بين قصور الحماية القانونية وعنف الشارع، <https://www.majalla.com/node/91521>, 22:44. 2023/10/10

16. Ahmed nessrdine, <https://penpoin.com/sociocultural-environment>, 14/04/2022, 15:07.